

تأمل في بنيات أحسن الحديث

طالبة الدكتوراه طاهره نوبهار

قسم اللغة العربية وآدابها - فرع قم - جامعة آزاد الإسلامية - قم - إيران

محمد حسن معصومي (الكاتب المسؤول)

الأستاذ المشرف - قسم اللغة العربية وآدابها - فرع قم - جامعة آزاد

الإسلامية - قم - إيران

Dr_masomi@yahoo.com

سيد أكبر غضنفری

الأستاذ المساعد - قسم اللغة العربية وآدابها - فرع قم - جامعة آزاد

الإسلامية - قم - إيران

Consider the structures of the best of hadith

Tahereh.nobahar

PHD student , Department of Arabic Literature , Qom Branch , Islamic Azad University, Qom , Iran

Mohammad.hasan.masoomi

Supervisor , Responsible author , Department of Arabic Literature , Qom Branch , Islamic Azad University, Qom , Iran

Sayed.akbar.ghazanfari

Consultant professor , Department of Arabic Literature , Qom Branch , Islamic Azad University, Qom , Iran

Abstract:

The Noble Qur'an is the immortal and unique miracle of the Messenger of God. This book, which is the most complete of the divine books, is full of stories of the past prophets and peoples, and the story is an interesting phenomenon to convey concepts from ancient times until now and it is an answer to one of the innate needs of man and he tends to listen to the story more than other literary types, as it inflames human feelings and emotions a lot. The Noble Qur'an uses the story as a means of guiding, raising and guiding a person, as well as bringing them to perfection and happiness. This article has endeavored to delineate the special and unique features of the Qur'anic stories in a new style that has not been discussed yet. One of the special features of Quranic stories that we can hardly see in human stories is that the characters and facts in the Quranic stories are real. The Noble Qur'an speaks with his addressers in a nice, coded language that depicts the life and destiny of the past and the ancestors, using literary arts, including borrowing, metaphor, metaphor, metonymy, etc., and sees the addressees in the belly of facts and attends with anecdotal characters in the stories of difficult and easy facts and understands the causes of their misfortune and happiness and makes good use of them.

Key words: The Qur'an and the story, the words of the story in the Qur'an, methods of the Qur'anic story.

الملخص :

إن القرآن الكريم هو معجزة رسول الله الخالدة والفريدة. إن هذا الكتاب وهو أكمل الكتب الإلهية مليئة بقصص الأنبياء والشعوب الماضيين، والقصة ظاهرة ملفتة بالاهتمام لنقل المفاهيم منذ قديم الزمن حتى الآن وهي إجابة لإحدى الحاجات الفطرية للإنسان وهو يميل إلى استماع القصة أكثر من الأنواع الأدبية الأخرى؛ إذ تهيج المشاعر والعواطف البشرية كثيراً. يستخدم القرآن الكريم القصة كوسيلة لهداية الإنسان وتربيته وإرشاده وكذلك إيصاله إلى الكمال والسعادة. قد سعت هذه المقالة أن ترسم ما في القصص القرآنية من الميزات الخاصة والفريدة في أسلوب جديد لم يتطرق بعد. من الميزات الخاصة بالقصص القرآنية التي تكاد لا نراها في القصص البشرية هي أن الشخصيات والوقائع في القصص القرآنية حقيقية. يتكلم القرآن الكريم مع مخاطبيه بلغة لطيفة مرموزة ترسم حياة الماضيين والأسلاف ومصيرهم مستعيناً بالفنون الأدبية منها الاستعارة والتشبيه والمجاز والكناية وغيرها وتري المخاطب في بطن الوقائع وتحضر مع الشخصيات القصصية فيما في القصص من الوقائع الصعبة والسهلة وتدرك أسباب شقائهم وسعادتهم وتستفيد منها بصورة جيدة.

الكلمات الرئيسية: القرآن والقصة، ألفاظ القصة في القرآن، أساليب القصة القرآنية.

المقدمة

إنّ القصة هي طريقة كثيرة الاستعمال في القرآن الكريم. عُرِضَتْ محتويات القرآن الكريم في ربع أو سدس منها في الأسلوب القصصي، ولغة القرآن هي وسيلة لبيان المظاهر الفنية والأدبية لهذه المعجزة الإلهية. يهتم القرآن الكريم بالقصة كثيراً؛ لأنه يكمن في شخصية الإنسان ميلٌ ونزعةٌ إليّ القصة وقد أجاب خالقه إليّ هذه الحاجة الفطرية وبين له المفاهيم الدينية والتوحيدية وأثبت له دعوة الرسل والمعاد والقيامة والأحكام الإلهية الأخرى في نصوص واضحة سهلة وفي أسلوب القصص الجميلة والتعليمية التي تسمي "أحسن القصص: «كما جاء في القرآن الكريم ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ "نحن نقص عليك أحسن القصص» (يوسف، ٣). هناك في القرآن الكريم ٢٦٠ قصة تبين الوقائع التاريخية مفصلة كانت أو موجزة بصورة فصيحة واضحة لا يتعب المستمع مما في هذه القصص من التكرارات؛ إذ هناك في هذه التكرارات حقائق جديدة وتنفتح هذه القصص في نفس الإنسان روحاً جديدة، وتواجهه قبالةً للنماذج الحية الواقعية مع بيان هذه الحقائق الصادقة حتي يختار طريقه في الحياة. لا يقصد القرآن الكريم من بيان هذه القصص أن يشغل الناس بل يكون هدفه منها هو الاعتبار والتعليم وتركيز النفس البشرية، وإظهار النماذج العلمية والحقيقية حتي يجد الطرق الصحيحة من غيرها خلاف ما نشاهد في القصص البشرية. اهتم القرآن الكريم بالقصة كثيراً حتي سميت إحدى سورها بـ «القصص»، وإن القصص التاريخية للقرآن الكريم أدت إلي إحياء الوقائع التاريخية المنسية أو المحرفة ومن الممكن أن يقال أن القرآن الكريم أحيى قصص الأنبياء مرة أخرى. سعت هذه المقالة أن تدرس الأساليب الفريدة للقرآن الكريم.

خلفية البحث

اهتم العلماء بالقصص القرآنية منذ قديم الزمن حتي المستقبل وقد درسوا وحققوا حول آرائها وحصلوا علي درر ثمينة من هذا البحر العظيم. ومن أقدم المصادر في مجال القصص القرآنية يمكننا الإشارة إلي «عرائس المجالس في قصص الأنبياء» لـ «أبي إسحاق الثعالبي» و«قصص الأنبياء» لـ «الكسائي» و«قصص الأنبياء» لـ «النيسابوري» وكذلك «قصص الأنبياء» لـ «قطب الدين الراوندي» ومن المؤلفات المعاصرة في هذا المجال يمكن

الإشارة إلى «التصوير الفني في القرآن» لـ «محمود بستانبي» و «تحليل أدبي و هنري داستانهاي قرآني» لـ «خليل پرويني» و «قصص قرآني» لـ «صدرالدين بلاغي». اهتم كل من هؤلاء العلماء بالقصص القرآنية من وجهة نظر خاصة.

أهمية الموضوع

إنّ الفحص في ميزات القصص القرآنية والتأمل في هذه القصص يمكن أن يكون دليلاً ومرشداً لكاتب الأفلام وكذلك يساعد كتاب القصص أن يرسموا مظاهر هذه القصص وجاذبيتها وكذلك بإمكانها أن تكون أحسن نموذج لتربية الجيل الحديث؛ إذ تعرض الطرق التربوية الصحيحة بواسطة النماذج العملية والحقيقية للجميع.

أهداف الموضوع

(١) النظرة الحديثة إلى القصص القرآنية، (٢) دراسة الأساليب المتأثرة للقصص القرآنية.

طريقة الدراسة

جمعت محتويات المقالة بواسطة قراءة الكتب التفسيرية العديدة وكذلك الفحص عن الآثار المختلفة حول المظاهر الفنية والأدبية والتربية للقصص القرآنية.

فرضيات البحث

(١) الميزات العامة للقصص القرآنية المنوّرة، اختلاف أساليب القصص القرآنية عن القصص الأخرى.

مميزات القصص القرآنية

المقدمة

إنّ القصة طريقة كثيرة الاستعمال في القرآن الكريم حيث استعمالها كثيراً لتحقيق هدفه وهو عرض الحقائق ووصول الإنسان إلى الكمال والسعادة. إنّ الموضوع الغالب علي كثير من القصص القرآنية هو ما قد جرى علي الشعوب الماضيين وحياة الأنبياء وكيفية معاملة الناس مع أولئك الأنبياء. من ميزات هذه القصص القرآنية هي اشتمالها علي رسالة هامة إضافة إلي إحياء الشخصيات القصصية. يري البعض بأنه قد عرض حوالى ربع أو سدس من المحتويات في القرآن الكريم عبر الأسلوب القصصي؛ لأنّ الإنسان خلق بصورة مكيفة مع القصة حيث إذا بين له شيء في أسلوب القصة، يدركه ويفهمه أكثر وأعمق.

تختلف لفظة «الْقَصَص» مع «الْقِصَص»؛ إن لفظة «الْقَصَص» تعني مفهوم القصة في القرآن الكريم ولكن كلمة «الْقِصَص» جمع «القصة» وهي لم تأت في القرآن الكريم. نقرأ في الآية ٦٢ من سورة آل عمران ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ **آل**. هذا هو المصير الرئيس لمسيح (عليه السلام) ولا إله إلا الله. جاءت لفظة «الْقَصَص» في القرآن الكريم ست مرات وهي في المعاني المختلفة نحو: «القصة»، و«الحكاية» و«المصير» كما نقرأ في سورة «آل عمران» الآية ٦٢ و سورة «يوسف» الآيتين ٣ و ١١ و سورة «الْقَصَص» الآية ٢٥.

القص

تكون هذه الكلمة بمعنى «الحدو» و«الذهاب» و «قصصت أثره» أي «حدوت حدوه» ٢.

جاء في القرآن الكريم: «فارتدا علي آثارهما قصصاً» وهذه العبارة ترتبط بقصة النبي موسى (عليه السلام) والنبي خضر (عليه السلام). يقول: «قصصوا حتي رجعوا إلي ذلك المكان.» جاء في "لسان العرب": «هذه اللغة تعني "القطع" في الأصل، كما يقال للمقراض "المقصاص" أيضاً» وفي موضع آخر نقرأ في قصة النبي موسى (عليه السلام) وأمه حيث تقول الأم لأختها: «قصيه»: أي تابعيه حتي تخبر عما سيجري ٣.

يقول "الطبرسي" في "مجمع البيان": القصة تعني ما يقال حول أحوال الماضين ولذلك يطلق عليها هذا الاسم.

٢ - لفظة الحديث

هذه اللفظة في اللغة بمعنى تجديد الظواهر وتحديثها ولكن تكون في القرآن الكريم بمعنى "النبأ" و "الكلام" و"القرآن" و"الاعتبار" و"الحلم" و"البدعة" و"القصص". ومن نماذج استعمال هذه اللفظة هو ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (١٥) ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى﴾ (١٦) ﴿أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ﴾ (النازعات، ١٧ - ١٥). فتكون كلمة "حديث" في هذه الآية بمعنى "القصة"، وكذلك تري في ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (الذاريات، ٢٤) وفي مجال هذه الآية ترجم كثير من المفسرين هذه الكلمة بمعنى «القصة».

٣- كلمة "النبأ"

تكون هذه الكلمة بمعنى "الخبر" ولكن استخدمت في القرآن الكريم بمعنى "القصة" نحو ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (القصص، ٣).

٤- كلمة "المثل"

تجمع هذه الكلمة بصورة "الأمثال" وهي بمعنى "البديل" و "ما يشبه" كما تكون بمعنى "القصة" نحو ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران، ٥٩).

هناك بعض من المفسرين الذين يترجمون "المثل" بـ "القصة". يمكن أن يقال بأنه يأتي به القرآن الكريم في هيئة المثل، يظهر الجوانب التمثيلية منها بصورة عامة؛ نحو كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ يَتًا ﴿ (العنكبوت، ٢١).

الميزات الخاصة بالقصص القرآنية

تختلف القصص القرآنية عن القصص الأخرى؛ إذ هي تنقل الحوادث والوقائع الحقيقية التي تتبع بصورة عملية مستهدفة ذات هدف خاص^٤. والقصة من منظور القرآن الكريم هي مصيرة حقيقية تبتني على العلم الإلهي وتبين لبسط العلم والاعتبار في ذوي العقول حيث يتبعها السامعون أو القارئون^٥. يقول العلامة الطباطبائي ناقداً الذين يعدّون القصص القرآنية رمزية ضمن رواية قصة عن عم النبي إبراهيم (عليه السلام) هكذا: «يظنّ بعض من الباحثين أن خلو بعض القصص القرآنية من العناصر الحقيقية كالزمان والمكان والظروف الطبيعية والاجتماعية والسياسية هو أن للقرآن الكريم أسلوب خاص في رواية القصة يصل إلى الغرض والمقصود بصورة أفضل، دون أن يهدف التمييز بين الصحيح والخطأ؛ لأن القرآن الكريم ليس بكتاب تاريخي أو تخييلي بل هو كتاب لا يتعرض للباطل وهو قول الله الذي لا يقول إلّا الحق ولا يستعين بالباطل عند وصوله إلى الحق، فكيف يمكن أن يكون الغرض الحق في حالة ينفذ الباطل فيه»^٦.

كلّ ما جاء به القرآن الكريم من المثل والقصة يقصد إلي بيان الحقيقة الكبيرة التي التي يجعله في أسلوب بسيط يفهمه الجميع، والاستعارة المفهومية يعطي هذه القصص مظهراً وإعجاباً ساحراً وفريداً.

من أهم ميزات القصص القرآنية يمكن الإشارة إلي ما يلي:

١ - بيان الحقيقة

إنّ الراوي في القصص القرآنية هو الله تعالى وهو العليم البصير علي الإطلاق وعالم علي ما مضى وما يأتي وما سيأتي، ويدخل رحاب علمه الجهل ولا يخفي عنه مثقال ذرة في الأرض والسماء وهو الذي: ينقل أقوال الشخصيات ويحلّلها ويعلم مشاعر الشخصيات ومعتقداتهم ومعاملاتهم وهو الذي يعرف الخفايا، أضف علي هذا أنّ البطل في كثير من القصص القرآنية يختار من الأنبياء الذين يبلغون رسالاتهم بإذن الله الذي يعطي القصص نتائجاً^٧.

ليست القصص القرآنية من القصص التخيلية التي تسعى إلي مقابلة الإنسان إلي وقائع ليست لها صلة بالحقيقة، بل إنّ القصص القرآنية هي قصص واقعية وغرضهم الرئيس والهام هو هداية الناس بواسطة تمثيل الشخصيات القصصية كنموذج وقُدوة للناس في تحمّل مصاعب الحياة في جميع الظروف والأحوال^٨.

إنّ القصص القرآنية هي صورٌ حقيقية نقلها الله عما وقع في الأرض «تفسير الميزان، ج ٧، ص ٦٧»؛ فعلي هذا الأساس إنّ الإنسان يعتقد بأنّ هذه الأقوال تنقل من جانب شخصيات حقيقية وذلك عبر قراءة القصص القرآنية والتدبر في مضامين حواراتها^٩.

٢ - بيان الوقائع غير المترصدة

إنّ المفاجأة تعتبر من الميزات الأخرى في القصص القرآنية والمراد من المفاجأة هو أن يفاجيء القارئ بواسطة حادثة في القصة^{١٠}، فعلي سبيل المثال نقرأ في قصة النبي يونس (عليه السلام) ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٣١﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ (الصافات، ١٣٩ - ١٤٨). لا تخبر هذه الآية عن النبي يونس (عليه السلام) في بداية الأمر بل إنّما تشير إلي أنّه نبيّ فحسب وأنه يدخل سفينة مملوءة بالناس ويلقونه في البحر حتّي

يأمن عن هجوم هوة. هذه الطريقة تؤدي إلي جاذبية القصة إضافة إلي أنه يحرض مشاعر القارئ حيث يسبب إلي التأثير الإيجابي في فهم القصة وازدياد أسلوبها جمالاً.

٣- الإيجاز والاختصار

تجد في القصص العادية أن الحوادث التي تقع في حياة الشخصيات تطرح وتشرح من الجوانب المختلفة بصورة مفصلة ولكن القرآن الكريم يبين الوقائع القصصية بصورة مختارة مستهدفة أي يختار من الوقائع العديدة في حياة الأنبياء؛ تلك الوقائع التي تؤدي إلي هداية الناس واعتبارهم ١١، حيث يقول: «وكلا نقص عليك من أنبياء الرسل ما ثبت به فؤادك» (هود، ١٢٠). إن طريقة القرآن الكريم هي طريقة الإرشاد وإيصال الناس إلي الكمال وهو ليس بكتاب قصة أو لهو ولا يقصد بالقصة اللهو، بل يستفيد من القصة كطريقة لفهم المعاني والمضامين؛ لأن الإنسان يميل إلي القصة بصورة فطرية فلذلك يختار من أية قصة ما يبين الغرض الرئيس منها وهو الإرشاد.

يقول العلامة الطباطبائي: «لا يهتم القرآن الكريم بالنسبة العائلية بين الأشخاص أو ماذا حدث في زمانهم، بينما يستلزم في أية قصة وجود هذه المقدمات» ١٢. بما أن القرآن الكريم كله إعجاز وإيجاز قد فسرت أي من آياتها بصورة مختلفة فلذلك قد كتبت آلاف من التفاسير حول القرآن الكريم وسيكتب فيما بعد.

ويوجد هذا الإيجاز في القصص؛ فعلي سبيل المثال لا يبين شيء عن أحوال النبي نوح (عليه السلام) في سفينته ولكن يتطرق إلي ابنه بأنه كيف غرق، ولكن بعد إتمام العاصفة وهدوئها يشرح أحوال النبي نوح (عليه السلام) ١٣.

وهذا من أهم ميزات القصص القرآنية التي تبين الأمور بصورة مختصرة مستدلة وهذا مما أدّي إلي أن يجذب القارئ ويجعل المستمعين أن يفكروا فيها ويتبعوا الوقائع القصصية بصورة عفوية، فبينما أن الموضوع قد عرض بالإيجاز والاختصار ولكن القارئ والمخاطب لا يغفل عن الموضوع بكل ما فيها من المسائل الجزئية ولا يتوتر ذهنه بل ترغب دافعيته لمتابعة الحوادث حتي الوصول إلي النتيجة.

٤ - تكرار الموضوع

إن تكرار بعض المضامين والموضوعات يعدّ من أهم ميزات القصص وهي تدلّ علي أهمية ذلك الموضوع للسامعين و يستعين القرآن الكريم بالقصص لتبين الحقائق الدينية

ويرم علي بعض المفاهيم الدينية أكثر فأكثر ويستفيد من القصص المتكررة للتأكيد علي تلك المفاهيم، كما يدل تكرار القصص علي بلاغة القرآن الكريم وهو من الميزات الفنية للقرآن الكريم في عرض القصة ومن الجدير بالذكر أن هذه التكرارات تتعلق ببعض المواضع من القصص لا بتمامها ١٤.

وإذا تكررت إحدى حلقات القصة فهو يكون في مجال عرض المفاهيم الحديثة، بينما تكررت بعض القصص بما فيها من الأهداف والموضوعات والجوانب المختلفة في السور العديدة بطرق مختلفة كقصة النبي نوح (عليه السلام) أو قصة النبي موسى (عليه السلام) التي تكررت مرآت، ولكن بحث في كل سورة عن غرض خاص أو موضوع ما لمصيرة أبطال القصة ١٥.

إن التنوع في عرض القصص القرآنية يعد إحدى الأسباب في تكرارها؛ إذ إن تكرار القصة بالألفاظ العديدة يؤدي إلي تثبيت معني القصة وتعتبر من علائم بلاغتها ١٦. البعض الآخرون طعنون طعنوا في النزول التدريجي للقرآن الكريم وقابليته في ثبت الوقائع المختلفة والدروس العديدة دليلاً علي تكرار الآيات ١٧.

يقول الإمام الحميني (قدس) حول ظاهرة التكرار: «قد وقعت الحوادث في هذا الكتاب بصورة عذبة حيث لا يمل الإنسان تكرارها، بل في كل مرة يكرر المحتوي الرئيس يذكر بعض الميزات والحقائق التي لا توجد في مواضعها الأخرى كما يقصد بيان نقطة هامة في مجال العرفان أو الأخلاق ويدير الموضوع حوله، ويستلزم هذا الأمر في فهم القصص القرآنية فهماً كاملاً ١٨. إن ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ولاسيما في قصصه تلمع جميع الجوانب والأقسام كاللؤلؤ، حتي يري القارئ نفسه مقارناً بأبطال القصة، ويعايشهم ويفكر معهم ويشارك نفسه في مصيرهم؛ فهذا السبب قد ذكرت قصة النبي موسى (عليه السلام) في أكثر من ثلاثين سورة، وفي كل تكرار يكون جديداً ويتلذذ منها السامع».

٥- التقطيع في القصص

قد يأتي القرآن الكريم بالقصص بصورة منقطعة؛ علي سبيل المثال قد يأتي بقصة ما في خلال قصة أخرى يجعل القارئ أن يصاحبه وفي الحقيقة يربي قصة ما في بطن قصة أخرى ويقطع الحوادث المتعلقة بالقصة السابقة ويبدأ قصة أخرى وبعد إنهاء القصة

الجديدة يبادر بإكمال القصة الماضية. كثيراً ما نشاهد مثل هذه القصص في القرآن الكريم؛ علي سبيل المثال يشير إلي قصة النبي إبراهيم وضيوفه التي تحققت فيها البركات الإلهية خلال سورة هود والتذكر بتاريخ أخلاف النبي نوح (عليه السلام) وأقوام وصلوا إلي الدرجة الإلهية حسب زعمهم، وكذلك يبين قصة قوم لوط الذين أصيبوا بالعذاب الإلهي ١٩.

ومن النماذج الأخرى في مجال القصص المتداخلة نري في سورة آل عمران التي يأتي بقصة ثلاث ولادات بصورة متوالية؛ يصور القرآن الكريم قصة النبي زكرياء (عليه السلام) بعد قصة زوجة عمران وفي بداية قصة مريم (س) وكذلك يرسم قصة مريم (س) بعد إنهاء قصة النبي زكرياء (عليه السلام) ٢٠.

قد تري وقائع القصة وفقاً للتسلسل الزمني للرواية وقد لا يقع هذا التسلسل الزمني؛ فعلي سبيل المثال نري في قصة النبي موسى (عليه السلام) في سورة "طه" أنه قد يأتي في بداية الأمر بذهاب النبي موسى (عليه السلام) لقصة النار وبعد ذلك يتطرق إلي أن أم النبي موسى (عليه السلام) وضعت في سلة وأطلقت في نهر نيل، في حين قد وقعت إحدى هذه القصص في المرحلة الأولى لحياة النبي موسى (عليه السلام) والأخرى قد وقعت في بداية رسالته؛ فلذلك يثني القرآن الكريم أسلوبه في بيان القصص ويقول: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ» (زمر، ٢٢) وفي موضع آخر يقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف، ٣) وإن هذه الميزات الفريدة هي التي تظهر القرآن الكريم كمعجزة إلهية وتجعله خالداً.

٦- التخاطب والحوار

في بعض الأحيان نري بعض الحوارات بين الشخصيات القصصية في صيغتي الخطاب والتكلم وهذا مما يساعد علي عينية القصة. والقرآن الكريم بوصفه كتاباً مقدساً يأتي ضمن القصص بأهداف حكاياته وهذه الجمل لا يبعد القارئ عما يتمحور حوله القصص، والعكس علي ذلك إن الإتيان بهذه الجمل يساعد علي فهم رسالة القصة ٢١؛ فعلي سبيل المثال نبدأ ولادة السيدة مريم (س) هكذا: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (آل عمران، ٣٥) وتتبعها آية: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ (آل عمران، ٣٦). يقول العلامة الطباطبائي في "الميزان" ٢٢:

«ليست هاتان الجملتان من السيدة مريم (س)، بل هو قول الله تعالى الذي جاء كالجملة المعترضة، والقرآن الكريم هذا الروح الحية والخالدة يعتبر الشخصيات القصصية كالأحياء عبر خطابهم، وجعلهم كأنهم قد وقفوا أمام القرآن ويعطيهم القرآن نعمه، بينما لا يوجد أثر منهم بل إنما هناك ذكر قليل عنهم فحسب، ويحذر القارئ بأن يكون لهم هذا المصير؛ إذ كرروا هذه الأعمال. ومن هذا المنطلق يري المخاطبين هذا المثل الشهير أي "التاريخ مرآة الأخلاق" بصورة واضحة حتي تسلب عنهم أية ذريعة» ومثال هذا القول هو هذه الآية الشريفة التي تقول: «وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ. وَإِذْ فَرَقْنَا بِكَ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكَ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ».

استفاد القرآن الكريم من ضمير "كم" بدلاً عن ضمير "هم" حتي يظهر الحوادث بصورة حية ويتحرك أمام القارئ كفلم ويغرق القارئ في جميع المراحل. يقول السيد قطب «إن التذكر بقصة النبي موسى (عليه السلام) في هذا المجال للمرة الثانية كتجسم واقعة يكون لإحياء تلك الذكريات ويؤثر فيهم، ويتحدث عن الأمور حتي كأن المخاطبين نفس الأشخاص الذين كانوا في ذلك اليوم قد شاهدوا شق البحر وإنقاذ بني إسرائيل بقيادة النبي موسى (عليه السلام)، وإن تجسم الأبطال في القصة بصورة الأحياء يكون من أبرز ميزات أسلوب القرآن الذي يعجب الآخرين» ٢٣.

٧- العفة في القول

ليس غرض القرآن الكريم من عرض القصص هو اللهو، بل يعبر عن القصص والوقائع الحقيقية للنصيحة والاعتبار، فيترك اللغة المستهجنة والمأجنة ويتطرق إلي الوقائع غير العفيفة بواسطة عفيفة زكية. ومن نماذج هذا الاستعمال هو قصة زوجة عزيز مصر مع النبي يوسف (عليه السلام): ﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَلِكَةُ وَهِيَ أَغْلَىٰ وَأَعْلَىٰ هَيْئًا وَكَانَتْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (يوسف، ٢٣). تبين هذه الآية قصة حب في غاية العفة والنزاهة بينما يعبر عنها بصورة واضحة تماماً. وفي قصة ولادة النبي عيسى (عليه السلام) أيضاً يتحدث عن قبح فعل السيدة مريم (س) في بداية الأمر، والقرآن الكريم يتحدث عن هذا الأمر هكذا: «يا أُمَّتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا» (مريم، ٢٨). إن هذه الآية

تتحدث عن عمل شنيع بصورة خفية، وعند بيان المحتوى يقول «يا أخت هارون» وهذا يدل علي الاحترام والإكرام بمقام الإنسان، وكذلك لحال في قصة النبي لوط التي تكون أبرز العقد فيها مسألة جنسية ولكن القرآن الكريم يرويها بالتدبير، ولكن مع الأسف الشديد تنظر الحضارة الحديثة إلي المرأة كأنها وسيلة، ومن هذا المنطلق يستفيد منها لازدياد أفلامها جاذبية، في حين يكون الموضوع في القرآن الكريم ملائماً لحقوق النساء وينظر إليهن نظرة قيمة ولا يذكر أسمائهن الحقيقية حفظاً لشأنهن؛ فعلي سبيل المثال يقول "امرءة فرعون" و"أخت موسى" و"امرءة نوح"، والمرأة الوحيدة التي يتحدث عنها باسمها الحقيقية هي السيدة "مريم"، ويذكر القرآن الكريم باسمها كنموذج للعفة والحياء والعبادة، ولكن عندما يريد أن يرسم الصورة السلبية للنساء يقول عنها كناية: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ (تحریم، ١٠).

ليس حضور المرأة في القرآن الكريم مصاحباً بالترسيم ولها حضور ضئيل لاسيما إذا تكون غير صالحة^{٢٤}، ولكن هذا الحضور الضئيل لا يؤدي إلي التقليل عن القيمة الإنسانية والمعنوية للنساء؛ إذ يذتبط هذا الأمر بالاختلافات الطبيعية والجسمية والروحية للنساء بالنسبة للرجال، وهناك للاستعارة المفهومية دور هام وبارز في هذا الترسيم.

التصوير الفني

إن الكتاب الكبار يرون بأن إعجاز القرآن الكريم من الناحية البلاغية والكلامية يعود إلي استخدامه أقسام الفنون الأدبية، وكذلك إن طريقة القرآن وأسلوبه يعد من النماذج الفنية والبلاغية القيمة. قد يأتي القرآن الكريم بنتائج القصص في بداية الأمر ثم يشرحها. في بعض الأحيان يتطرق إلي الموضوع بالتكرار وفي بعض الأحيان الأخرى يشرح القصة بالتفصيل والتفسير ثم يأتي بملخصها، فيشرح القصة ويصورها بواسطة بعض الفنون الأدبية نحو التشبيه والاستعارة والتمثيل كأنه يصور القصة للقارئ علي صفة ظاهرة حية متحركة. يقول السيد قطب حول مزية القرآن الكريم في استخدام هذه التصاوير^{٢٥}: «إن التصوير هو أداة رئيسة لأسلوب القرآن الكريم. يأتي القرآن الكريم بالمعاني الذهنية والحالات الروحية للحوادث المحسوسة والمشاعر المرئية والنماذج الإنسانية والفترة الإنسانية بواسطة التصاوير المحسوسة والتخييلية، ثم يرسل التصاوير

إلي درجة أرفع ويعطيه الحياة والحركة، ففي نهاية الأمر يتحوّل المفاهيم الذهنية والانتزاعية بالهيات المرئية، وتظهر الحالات الروحية كالصور والمشاهد. تنفعل نماذج إنسانية بارزة وتحيا كما تري الفطرة البشرية كتمثال مرئي، وتنفخ في الحوادث والقصص والمناظر روح الحياة والحركة، وعندما يضاف إليها الحوار والكلام فتجمع فيه عناصر الخيال بتماهما.»

قد تمّ كثير من البحوث والدراسات حول الفنون الأدبية للقرآن الكريم منذ القديم حتي الآن، ولكن في العصر الحاضر قد التفت كثير من العلماء بدراسة البلاغة في القصص القرآنية ومن هؤلاء العلماء نستطيع الإشارة إلي الأستاذ «صدرالدين بلاغي» الذي ألف كتاباً في القصص القرآنية وأيضاً «السيد قطب» صاحب كتاب «التصوير الفني في القرآن» الذي أدّى إلي تحوّل معجب في التصاوير القرآنية ومعرفتها.

٩ - العقدة في القرآن

إن إكبار الشخصيات القصصية يعدّ من الميزات البارزة لكتابة القصة، وبهذا الأمر يقصد كتاب القصص أن يجذبوا القارئ إلي أحداث القصص ولكن ليس في القصص القرآنية غلوّ حول الشخصيات القصصية، بل يشجّعون السامع في تعقيب حوادث القصص بطريقة تسمي "الإبهام" وهذه الطريقة هي التي تجعل القرآن جذاباً. قد يتحدّث القرآن الكريم حول شخصية ما بصورة سرّية. «ليس الغرض في القرآن الكريم هو دراسة الشخصية والتطرّق إليها؛ لأنّ الشخصيات في القصص القرآنية هي شخصيات تاريخية يقصد القرآن الكريم من الإتيان بها الفحص عن الحالات أو تكريم أعمالها أو تقييحها» ٢٦.

نري في بعض القصص القرآنية بأنها تتحدّث عن الحوادث المتعلقة بشخصية ما بينما لا يذكر اسم تلك الشخصية كقصة أصحاب الكهف الذين يشرح القرآن الكريم قصّتهم ويصفهم بصورة مفصّلة ولكن لا يأتي باسمهم ويسمّيهم بالشباب المؤمنين، كما يتحدّث عن عددهم بصورة مبهمّة. أو قصة أصحاب "خورد" أو أصحاب "رس" التي ذكرت بصورة مبهمّة، كذلك الحال في أسماء النساء واسم من أتى بفراش بلقيس بصورة مبهمّة ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ (نمل، ٤٠). وفي قصة النبي موسى (عليه السلام) التي تكون جميلة

جذابة لا يأتي باسم النبي خضر بل يصفه بعبارة «عبد من عبادنا». وأيضاً في قصة النبي يونس (عليه السلام) يفاجئ القارئ باسم النبي يونس (عليه السلام) وهو بطل القصة في حين لا يأتي في بداية الأمر ببيان أو شرح عن هذا النبي الكريم وإنما يذكر بأنه يكون من الأنبياء. كذلك الحال في قصة "ذي القرنين" المرموزة والمبهمة التي يقول أي من المفسرين حولها تفسيراً خاصاً.

١٠ - محورية الرسالة

إن المحور الرئيس في القصص القرآنية هو اشتغالها علي رسالة إيجابية تعليمية تماماً حيث لا يستطيع أحد أن يجد رسالة سلبية غير صحيحة فيها ويقول القرآن الكريم في هذا المجال: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ﴾ (يوسف، ١١١).

تبدأ آية قصة بالمقدمة ثم تتطرق إلي صلب الموضوع وفي نهاية الأمر تذكر النتيجة إما عذبة وإما مرة تسير مع نظم تدريجي حتي لا يمل القارئ. ولكن القصص في القرآن الكريم لا تشابه القصص البشرية؛ إذ تهدف القصص القرآنية إلي هداية البشر نحو الصراط المستقيم الذي يعد ضماناً وهدفاً لسعادة الإنسان. قد تطرح مواضع عديدة من القصص القرآنية حول موضوع طرح في السور العديدة. يقول "برويني" في هذا المجال ٢٧: «كل ما قيل حول النبي نوح (عليه السلام) في آية سورة تعتبر كقصة خاصة كاملة لها إطار خاص، ومن جانب آخر إذا جعلنا الأقسام الموزعة من هذه القصة إلي جانب الأخرى، نحصل علي صورة كاملة عن حياة النبي نوح (عليه السلام) وحياته. بينما تبين الآيات المذكورة كلها قضية واحدة ولكن في كل مرحلة تعبر عن القصة من جانب متفاوت وحديث، فبسبب هذه الميزات الخاصة لا يمل القارئ من قراءة هذه القصة، وقد استفاد القرآن الكريم من هذه الميزة في جميع المواضع حتي يجعل المخاطبين إلي استماع القصص القرآنية التي لا تهدف إلّا إلي التعليم والإرشاد لمرات عديدة» ٢٨.

فملخص القول أن طريقة القرآن الكريم هي طريقة الإيمان والهداية المعنوية ولا يقصد بيان القصة أبداً، ولكن بما أن القصة هي طريقة تؤثر في روح المخاطب، فالقرآن الكريم أيضاً استخدم الأسلوب القصصي بأكمل الصور لبيان رسالته.

النتيجة

يستخدم القرآن كمراة لتعكس الحقائق الإلهية. لشرح واقع وقوانين الكون للبشر في جميع الأعمار والأزمنة ، و من خلال تحليلها بوضوح و توجيه الطريق أمام البشرية لمعرفة طريق الخروج من البؤس والتعلم من السلف إلى السعادة للوصول إلى سعادة الأبدية. ولهذا السبب فإن رواية القصص القرآنية لها ميزات فريدة وفريدة تشمل: سرد الأحداث الخيالية ورواية المؤامرة المفاجئة لرواية القصص والعفة وكشف النقاب عن الهوامش غير الضرورية وتكرارها وتكرار الجوانب المهمة والحاسمة في حوار الأبطال رواية القصص و الصور الفنية . الآلاف من الميزات الأخرى التي تجعل من هذه القصة رائعة وجميلة بحيث يستمتع القارئ بالاستماع إليها ورؤية شخصيات القصة إلى جانب مصيرهم. هذه القصة ، مثل البحر الصافي ، تظهر أعماق الوجود الإنساني من أي قذارة أو قبح. ومن خلال تقديم نظرة توحيدية للعالم ، فإنه يؤدي إلى الكمال والتميز في كل عصر و زمان.

هوامش البحث

- ١ - ❖❖❖❖
- ٢ - المفردات، الراغب الإصبهاني.
- ٣ - ابن منظور- محمد- لسان العرب- بيروت- دارالإحيا و التراث العربي- ١٤٠٨ ق.
- ٤ - ملبوي، محمدتقي، تحليلي نواز قصص قرآن، تهران، منشورات اميركبير، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ ش.
- ٥ - شوقي، ابوخليل، كارل بروكلمان في الميزان، بيروت، دارالفكر المعاصر، الطبعة الاولى، ١٢٩٩٠ م، ص ٨٥.
- ٦ - الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ج ٧، ص ١٦٥، جامعه مدرسين قم.
- ٧ - پرويني، خليلي، تحليل ادبي و هنري داستان هاي قرآني، تهران، فرهنگ گستر، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ ش.
- ٨ - كاظمي، شهاب، آفرينش هنري در داستان حضرت ابراهيم (عليه السلام)، قم: منشورات أحسن الحديث الطبعة الأولى، ١٣٧٩ ش.

- ٩ - فضل الله، محمدحسين، الحوار في القرآن، بيروت، دارالفكر معاصر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢ م.
- ١٠ - قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ترجمة: محمد علي عابدي، تهران، منشورات انقلاب، الطبعة الأولى، ١٣٥٩ ش.
- ١١ - پرويني، خليلي، تحليل ادبي و هنري داستان هاي قرآني، تهران، فرهنگ گستر، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ ش.
- ١٢ - تفسير الميزان، ج ٧، ص ٦٧.
- ١٣ - طباطبائي، محمدحسين، حسيني، محمد، ريخت شناسي قصه هاي قرآن، تهران، منشورات ققنوس، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ ش.
- ١٤ - پرويني، خليل، تحليل ادبي و هنري داستان هاي قرآني، ص ١٢٤.
- ١٥ - قطب، السيد، التصوير الفني في القرآن، ص ١٢٧.
- ١٦ - حافظ، عمه دزهير، القصص القرآني، دمشق، دارالقلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠ ق، ص ٢٣٢.
- ١٧ - شوقي، ابوخليل، كارل بروكلمان في الميزان، بيروت، دارالفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م، ص ٨٥.
- ١٨ - عاشوري بلوكي، نادعلي، داستان هاي قرآن از نگاه امام خميني (ره)، صحيفه مبين، الرقم ٥٠.
- ١٩ - قطب، سيد، في طلال القرآن، ترجمه آرام، تهران، انتشارات علمي، الطبعة الأولى، ١٣٢٥، ج ١٢، ص ٦٥.
- ٢٠ - ستاني، محمود، پژوهشي در جلوه هاي هنري داستان هاي قرآن، ترجمه موسي دانش، مشهد، بنياد پژوهش هاي اسلامي، آستان مقدس رضوي، الطبعة الأولى، ١٣٧١، ج ٢، ص ١٦٣.
- ٢١ - فعال عراقي، حسين، داستان هاي قرآن در الميزان، تهران، نشر سبحان، الطبعة الثانية، ١٣٧٨ ش، ص ٣٤٨.
- ٢٢ - الميزان، ج ٣، ص ١٦٩.
- ٢٣ - قطب، سيد، التصوير الغني في القرآن.

- ٢٤ - حسيني، محمد، ريخت شناسي قصه هاي قرآن، تهران، منشورات ققنوس، الطبعة الثانية، سال ١٣٨٤، ص ٢٤٦.
- ٢٥ - قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن.
- ٢٦ - حسن نژاد، سيد محمد، قصه هاي قرآن، الطبعة السادسة، قم، منشورات اهل بيت، ١٣٧٤ ش، ص ١٦٩.
- ٢٧ - پرويني، خليل، تحليل ادبي و هنري داستان هاي قرآني، تهران، فرهنگ گستر، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ ش ص ١١٧.
- ٢٨ - حسيني، محمد، ريخت شناسي قصه هاي قرآن، تهران، منشورات ققنوس، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ ش ص ٩٩.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم

١. ابن منظور - محمد بن مكرم - لسان العرب بيروت - دارالاحياء و التراث العربي ١٤٠٨
٢. راغب اصفهاني - محمد بن حسين - مفردات الفاظ قران - چاپ اول بيروت دارالقلم - ١٤١٢
٣. ملبويي - محمد تقى - تحليلي نواز قصص قران - تهران - امير كبير - چاپ اول - ١٣٧٦
٤. طباطبائي - محمد حسين - الميزان - ج ٧ - جامعه مدرسين قم
٥. شوقي - ابوخليل - كارل بروكلمان في الميزان - بيروت دارالفكر المعاصر - الطبعة الاولى
٦. سيد قطب - تحليل ادبي و هنري داستانهاي قرآني - تهران - فرهنگ گستر چاپ اول ١٣٧٩
٧. كاظمي شهاب - افرينش هنري در داستان حضرت ابراهيم - انتشارات احسن الحديث ١٣٧٩
٨. فضل الله - محمد حسين - الحوار في القرآن بيروت - دارالفكر المعاصر - الطبعة الثالثة
٩. پرويني - خليل - تحليل ادبي و هنري داستانهاي قرآني - تهران - فرهنگ گستر ١٣٧٩
١٠. حسيني - محمد - ريخت شناسي قصه هاي قران - تهران - انتشارات ققنوس ١٣٧٩
١١. حافظ - عماد زهير - القصص القرآني - دمشق - دارالقلم - الطبعة الاولى ١٤١٠ق

١٢. عاشوري بلوكي - نادعلي - داستانهاي قران از نگاه امام خميني صحيفه ميين ٥٠
١٣. سيد قطب - في ظلال القران - ترجمه احمد ارام - تهران انتشارات علمي چاپ اول
١٤. بستاني - محمود - پژوهشي در جلوه هاي هنري داستانهاي قران ترجمه موسي دانش
١٥. فعال عراقي - حسين - داستانهاي قران در الميزان - تهران نشر سبحان چاپ دوم
١٦. حسن نژاد - سيد محمد - قصه هاي قران - قم - انتشارات اهل البيت - ١٣٧٤ق
١٧. سيد قطب - التصوير الفني في القران - قاهره